د. عبدالرحمن سيد عبدالغفار

العمل التطوعي
وأثره على الفرد والمجتمع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

العمل التطوعي وأثره على الفرد والمجتمع

عبد الرحمن السيد السيد عبد الغفار بلح

بسم الله الرحمن الرحيم، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى محمَّدٍ وآلِه وصَحْبِه، رَبِّ زِدْنِي عِلْماً، وَوَفِّقْ يا كَريم، أما بعدا،

تمهيد:

يعد العمل التطوعي نزعة إنسانية جاءت مع بروز الكون، حيث خص الله تعالى بعضاً من عباده بهذه النزعة المتغلغلة في وجدانهم ليقضوا حوائج الناس ويكرسون حياتهم من أجل البذل والعطاء دون مقابل، كما يعد التطوع جهداً اختيارياً يقوم به أفراد المجتمع دون توقع الحصول على مردود مادي، وإنما تحفزهم إليه دوافع شخصية أو دينية أو إنسانية، فهو كل عمل تلقائي اختياري يقوم به فرد أو جماعة لخدمة الأخوة البشرية وتحقيق كرامة الإنسان٢، وهو من الأمور المهمة التي تسعى المجتمعات إلى الاهتمام بها كأحد المقومات الأساسية التي تسهم في بناء هذه المجتمعات وتقدمها، كما يشكل ركيزة مهمة تسهم في بناء التماسك الاجتماعي بين أبناء المجتمع، والوازع الديني هو من الدوافع الملحة للقيام بمثل هذا العمل لإسعاد الآخرين، وكلما سما هدف التطوع كان عمله أكثر قيمة، وأوسع خيراً، وأعظم فائدة٣، والتطوع يتميز بكونه مساهمة في خدمة المجتمع أو فئة معينة من الناس مثل دعم المحتاجين، أو المساعدة في مراكز الرعاية الاجتماعية، أو المشاركة في مبادرات تعليمية وثقافية، ويساهم أيضًا في تطوير المهارات الشخصية للمتطوعين، كما يعطيهم شعورًا بالرضا والإنجاز، فهو عمل غير ربحي، لا يقدم نظير أجر معلوم، وهو عمل غير وظيفي مهني، يقوم به الأفراد من أجل مساعدة وتنمية مستوى معيشة الآخرين بصفة مطلقة٤، كما ترجع فلسفة العمل التطوعي إلى أن الترابط الاجتماعي ظاهرة طبيعية في النفس الإنسانية، إذ لا يمكن العيش بدونها، فالكل محتاج إلى الكل، والإنسان دائما في حاجة إلى أخيه الإنسان، ليتمكن من تلبية حاجاته، وبدون ذلك الترابط يمتنع العيش وتنعدم الحياة، فالإنسان بفطرته يرتبط بغيره برباط التعاون المتبادل، نظراً لارتباط ذلك بالأغراض والحاجات، والضرورة داعية إلى استعانة الناس ببعضهم البعض، فالعمل التطوعي ممارسة إنسانية ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بكل معاني الخير، والعمل الصالح عند كل الجماعات البشرية منذ أن خلق الله الأرض وأوجد الإنسان، وتجدد هذا المفهوم عبر الأديان السماوية جميعاً وصولاً إلى الإسلام الذي أفاض في بيان أنواعها وكيفية ممارستها بلوغاً للإيمان ومقاصده، حتى كانت ممارسة العمل التطوعي تعني تحقيق الإيمان٥

المطلب الأول: تحديد مفهوم العمل التطوعي٦:

المتطوع: هو شخص يقدم خدمة بإرادته الحرة، دون الحصول على تعويض مالي٧، والتطوع اصطلاحاً: ما تبرع به المسلم من ذات نفسه، مما لا يلزمه فرضه، وقيل: المتطوع هو الذي يفعل الشيء تبرعاً من

---

١ - مستلةً من مقدمة الذهبي رحمه الله لكتابه: "الموقظة"، (ص٢٣)

٢ - ينظر: " ممارسة العمل التطوعي لدى طلاب الجامعات في مصر "دراسة ميدانية""، (ص٢٣٨)

٣ -ينظر:" الصورة الذهنية المدركة للعمل التطوعي وعلاقتها بالدافعية للتطوع لدى عينة من طلبة جامعة نزوى بسلطنة عمان في ضوء بعض المتغيرات"، (ص٣٢) ، نقلا عن: من أوراق منتدى الشباب الأول - الشباب والعمل التطوعي. التربية – البحرين، س٧، ع٢٤، وفلسفة العمل التطوعي والمسئولية الاجتماعية في المؤسسات التربوية. العلوم التربوية - مصر، مح ٢١، ع ٤، ص ٥ – ١٨، والريادة والعمل التطوعي. عمان: دار الراية.

٤ - العمل التطوعي وأثره على المجتمع، د. العتيبي، (ص٦)

٥ - ينظر: " ممارسة العمل التطوعي لدى طلاب الجامعات في مصر "دراسة ميدانية""، (ص٢٣٨)

٦ - الأعمال التطوعية في الإسلام، د. محمد بن صالح بن علي القاضي، صيد الفوائد، الأعمال التطوعية في الإسلام(saaid.org)

٧- ينظر: قاموس الخدمة الاجتماعية والخدمات الاجتماعية. د. أحمد السكر (٥٦٠)

نفسه، وهو تفعلٌ من الطاعة [٨]، والتعريف الأول أشمل[٩]، وبتأمل المعاني اللغوية السابقة: نجد أن المتطوع: متبرع بوقته أو بدنه أو ماله أو بهما جميعًا، وهو يقوم بعمل نافلةٍ لا فرضٍ، ثم هو في تطوعه هذا منقاد وخاضع لله سبحانه وتعالى، ومجاهد نفسه على العمل التطوعي، سهل لين في تعامله مع الفئات المستفيدة من تطوعه[١٠]

العمل التطوعي تعريفاته كثيرة ومتنوعة ونذكر منها: بأنه كل جهد بدني أو فكري أو عقلي أو قلبي يأتي به الإنسان أو يتركه تطوعاً دون أن يكون ملزماً به لا من جهة الشرع ولا من غيره، مثال ذلك: كتابة العقود، وتغسيل الموتى، وإماطة الأذى عن الطريق، وإعانة الرجل على دابته ورفع متاعه عليها، وأن تعين ضائعاً، وإنقاذ الغرقى والهدمى والحرقى، وإعانة في مهم كموت وعرس وسفر، وكف أذاك عن الناس.

وعرف بعضهم التطوع الاجتماعي بأنه: «كل ما يقدمه الفرد من خدمات للآخرين بلا أجر مادي، سواء كان ما يبذل علمًا، أو مالًا، أو وقتًا، أو جهدًا بدنيًا، أو رأيًا، أو غيرها مما يملكه الفرد ويحتاجه الآخرون»[١١]

وقيل: "الجهد المنظم الذي يقوم به الفرد والمجتمع بهدف تحقيق أعمال مشروعة دون فرض أو إلزام سواء كان بذلاً مادياً أو عينياً أو بدنياً أو فكرياً، ودافع ذلك ابتغاء مرضات وجه الله تعالى" ١٢

وقيل: "إن العمل التطوعي هو الجهد الذي يبذله أي إنسان بلا مقابل لمجتمعه بدافع منه للإسهام في تحمل المسؤولية على تقديم الرعاية الاجتماعية" ١٣، وقيل: ما يتبرع به الشخص من ذات نفسه مما لا يلزمه فرضه باعتبار التطوع خدمة اجتماعية سواء على الصعيد الفردي أو الجماعي، باتباع أساليب وطرق علمية، ومراعاة للوائح والأنظمة الموجودة بالجهة المستفيدة من الخدمة من دون انتظار لأجر مادي، وفي أوقات منتظمة تصل فيها الخدمة لمستحقيها (مبارك،١٩٩٨،٤٣)، وعرف بأنه: مجهود يقوم على المهارة والخبرة، ويتم بذله عن رغبة وقناعة من أجل إنجاز وتلبية واجب إيماني واجتماعي دونما توقيع على الأجر المادي (حسنين،١٩٨٥،١٦)١٤، ويعرف أيضاً بأنه: تخصيص وقت الإنسان الخاص من أجل عمل عام عبر التزام ليس بالوظيفي إنما هو التزام أدبي وتنافس شريف من أجل خدمة أهداف إنسانية ومجتمعية١٥، كما يعرف العمل التطوعي بأنه "العمل الذي يقوم به الفرد لتحقيق أهداف اجتماعية محددة، دون أن يستهدف من عمله الأجر، أو جني الربح المادي، أو اقتسامه، أو تحقيق المنفعة الشخصية"(الخطيب، ٢٠١٣، ص ٥٤)، ويعرف الربعاني (٢٠١٣، ص ١٤٧) العمل التطوعي بأنه "عمل إنساني يعكس فيه الفرد رغبته

---

٨ - ينظر:" لسان العرب"،(٨/ ٣٤٣)، و"النهاية في غريب الحديث"، (٣/ ١٤٢)

٩ - ينظر: «الزكاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة» (ص٣٩٥)، و«صدقة التطوع في الإسلام» (ص٦)، و"استقطاب المطوعين في القطاع الخيري بين الواقع والمأمول"، البركاتي، «مجلة البيان» (٢٣١/ ٦)

١٠ - ينظر:" العطاء التطوعي طريقك لخدمة الإسلام"، (ص٨-١١)

١١ - ينظر:" العطاء التطوعي طريقك لخدمة الإسلام"، (ص٨-١١)، والباحث يستحسن تعريف د. القاضي له بأنه: «كل جهد بدني أو فكري أو عقلي أو قلبي يأتي به الإنسان أو يتركه تطوعًا دون أن يكون ملزمًا به لا من جهة الشرع ولا من غيره»، لأن هذا التعريف يدخل فيه «التطوع بالترك» ويعنى به الأعمال التطوعية التي يتركها الإنسان ابتغاء الأجر والثواب من الله تعالى دون أن يكون ملزمًا بتركها، كالتنازل عن الدية، ونصف المهر للمطلقة قبل الدخول، ونحو ذلك مما يترك تطوعًا.

١٢ - ينظر: " ممارسة العمل التطوعي لدى طلاب الجامعات في مصر "دراسة ميدانية""،(ص٢٣١)

١٣ - ينظر: "عزوف الشباب عن العمل التطوعي في الجهات الخيرية"، (ص٨-٩)

١٤ - ينظر: "العمل التطوعي وعلاقته بالصحة النفسية للمتطوعات داخل المسجد الحرام "، (ص٣٢٣)

١٥ - هذا التعريف يؤكد على البعد الزمني للتطوع كما يربطه بالجانب الحساس من التطوع وهو عدم ضعف التزام المتطوعين بما يتم إسناده لهم من أعمال تحملوا مسؤوليتها فهو يشترط الوفاء بما التزم به المتطوع، ينظر: "العمل التطوعي وعلاقته بالصحة النفسية للمتطوعات داخل المسجد الحرام "، (ص٣٢٩)، نقلاً عن: واقع العمل التطوعي في المملكة العربية السعودية والدور العالمي المأمول لتنميته دراسة وصفية نقدية، مجلة جامعة طيبة، العلوم التربوية، السنة الثانية، ع٤، (ص١٤٩)

الصادقة في إفادة مجتمعه والمجتمعات الإنسانية بما يمتلكه من إمكانات مادية وفكرية ومهارية بهدف المساعدة في حل أزمة إنسانية أو فردية أو تطوير منفعة عامة دون أي مقابل" [١٦]

ومن وجهة نظر شرعية يعرف العمل التطوعي بأنه: عمل صالح يقوم به المسلم في أي وقت وفي أي مكان، خدمة لنفسه أو أسرته أو مجتمعه، بقصد إشباع الحاجات الأساسية لهم، والرقي بالعلاقات الإنسانية في المجتمع المسلم، وتنميته وفقاً لشريعة الله المتمثلة في الكتاب والسنة النبوية، وهو عمل يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه، فحكمه حكم المستحب من حيث إن الشرع يحبه، والله سبحانه بين ثوابه وندب إليه، ورغب فيه، لكن إذا عظمت المصلحة واشتدت الحاجة فإن المندوب والمستحب والفضيلة والنفل يصبح فرضا عينيا أو فرضاً كفائياً، ومن وجهة نظر شرعية أيضا: التطوع: بذل مجهود، أو ثمرة مجهود، أو مال، أو عفو عن حق في غير الواجب، يوافق الشرع، ابتغاء وجه الله تعالى، ودون إكراه أو تخجيل[١٧]

ومن خلال التعريفات السابقة يتضح أن العمل التطوعي[١٨]:

١- عمل إنساني اجتماعي غير ربحي فردي أو جماعي، وبدون مردود مادي.

٢- يقوم به أي شخص كان صغيرا أو كبيراً، ذكراً أو أنثي، ومن أي نمط من أنماط الحياة الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية.

٣- يكون نابعاً من رغبة أو دافع داخلي في الشخص، حسب المجال الذي يختاره للتطوع فيه.

٤- يهدف إلى تحقيق أهداف ومصالح مشتركة، كما يهدف إلى تنمية وتطوير منفعة عامة، بعيداً عن المصالح الشخصية مع الشعور بالمسؤولية الاجتماعية.

ويمكن التمييز بين نوعين أساسيين من أنواع العمل التطوعي في ضوء من يقوم به، فإما أن يكون[١٩]:

١- العمل التطوعي الفردي: وهو العمل أو السلوك الاجتماعي الذي يمارسه الفرد برغبة منه وإرادة داخلية من تلقاء نفسه ولا يريد منه أي مقابل أو مردود مادي، ويقوم على اعتبارات أخلاقية أو اجتماعية أو انسانية أو دينية.

٢- العمل التطوعي المؤسسي: وهو أكثر تنظيماً وأوسع تأثيراً في المجتمع، وهناك مؤسسات وجمعيات أهلية تساهم في أعمال تطوعية كبيرة لخدمة المجتمع.

المطلب الثاني: نبذة عن عناية الإسلام بالعمل التطوعي[٢٠]:

يعد العمل التطوعي من الأعمال الجليلة التي تظهر آثارها الإيجابية وثمراتها النافعة على الفرد والمجتمع حيث يحل الأمن والأمان والتراحم والاستقرار في مجالات الحياة المختلفة ولقد دعا المنهج الإسلامي إلى التعاون وبذل الجهد، بل كان للعمل التطوعي الأولوية في أول الرسالة المحمدية في المرحلة المكية حيث جاءت الآيات القرآنية تحث على العطاء والإنفاق وبذل الخير للمجتمع، ولاسيما الفقراء والمحتاجين والمساكين، وفي هذا التكامل الرباني بين الأغنياء والفقراء الذي يقرره هذا الدين تذوب فيه الطبقات[٢١]، إن

---

١٦ -ينظر:" الصورة الذهنية المدركة للعمل التطوعي وعلاقتها بالدافعية للتطوع لدى عينة من طلبة جامعة نزوى بسلطنة عمان في ضوء بعض المتغيرات"، (ص ٣٠)

١٧ - ينظر: " ممارسة العمل التطوعي لدى طلاب الجامعات في مصر "دراسة ميدانية""،(ص٢٣٩)

١٨ -ينظر:" الصورة الذهنية المدركة للعمل التطوعي وعلاقتها بالدافعية للتطوع لدى عينة من طلبة جامعة نزوى بسلطنة عمان في ضوء بعض المتغيرات"، (ص٣٥-٣٦) ، و"واقع العمل التطوعي في مجال البحث العلمي عبر شبكات التواصل الاجتماعي لطالبات كلية التربية بجامعة جدة"،(ص ٣٠١)

١٩ - صورة العمل التطوعي ومؤسساته لدى الشباب الجامعي في ظل المتغيرات الدولية، شؤون اجتماعية -الامارات، مج ٢٩، ع ١١٤، ص٣٩

٢٠ - العمل التطوعي وأثره في التنمية الشاملة، أحمد مخيمر، الألوكة

٢١ - ينظر: "عزوف الشباب عن العمل التطوعي في الجهات الخيرية"، (ص٣)

الإسلام ورسالته الخاتمة منذ ما يربو على أربعة عشر قرناً من الزمان أكد على أهمية العمل التطوعي، وحث على مساعدة الإنسان لأخيه الإنسان، ومفهومُ العملِ التطوعي في الإسلامِ **واسعٌ لا حدّ له، ومجالاتُه واسعةٌ جدًّا** بحيثُ تستوعبُ جميعَ أعمالِ الخيرِ، من التطوّع بالنوافلِ والسننِ والقرباتِ، ونشرِ دينِ اللهِ بين الناسِ، وكفالةِ الأيتامِ، ومساعدةِ الفقراءِ، والمحتاجينِ، والأراملِ، والمرضَى وذوي الاحتياجات الخاصة، وتعليمِ القرآنِ الكريمِ حفظًا وأداءً وتدبرًا، وكفالةِ طلابِ العلمِ، وإعانةِ الباحثينَ، وبناءِ المساجدِ، ودورِ تحفيظِ القرآنِ، وبناءِ أوقافٍ خيريةٍ تساهمُ بشكلٍ كبيرٍ في مسيرةِ المجتمعِ، والمساهمةِ في إنشاءِ مدارسَ ومعاهدَ، وجامعاتٍ، ومراكزَ أبحاثٍ، ورعايةِ الموهوبين، والقيامِ عليها ودعمِها، وغير ذلك فكل عملٍ تطوعيٍ يُقدَّم للمجتمعِ يُساهم في تحقيقِ التّنمية المجتمعيةِ، ويؤدي دورًا رائدًا في ترابطِ المجتمعِ المسلمِ، مصداقًا للحديث الذي أخرجه البخاري في " صحيحه"،(٦٠٢٦) واللفظ له، ومسلم في " صحيحه "،(٢٦٢٧)، عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ وَكَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم جَالِسًا، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ يَسْأَلُ، أَوْ طَالِبُ حَاجَةٍ، أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا، وَلْيَقْضِ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ»، العمل التطوعي ظاهرة اجتماعية صحية تحقق الترابط والتآلف والتآخي بين أفراد المجتمع حتى يكون كما وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم (كالجسد الواحد)، وفي "صحيح مسلم"،(٢٦٩٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ " ، جاء في «شرح النووي على مسلم» (١٦/ ١٣٥):«في هذا فضل إعانة المسلم وتفريج الكرب عنه وستر زلاته ويدخل في كشف الكربة وتفريجها من ازالها بماله أو جاهه أو مساعدته والظاهر أنه يدخل فيه من أزالها بإشارته ورأيه ودلالته..» انتهى، وفي " صحيح مسلم"،(١٩٤٤)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأُنَحِّيَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ فَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ " ، إنَّ العمل التطوعيَّ في مجتمعِنا يستمدُّ جذورَه من تعاليمِ الإسلامِ الحنيف التي حضَّت على التوادِّ والتراحُمِ، والتعاونِ والتَّكافل، والتناصرِ والتآزُرِ، والمناصرةِ والمروءَةِ، والبذل والعطاءِ، والإنفاقِ والمسارعة إلى الخيراتِ، والتي أُجْمِلَت وفصِّلَت في كثيرٍ من الآياتِ القرآنيةِ والأحاديث النبويَّة الشريفةِ، وقد اتَّخذ التطوُّعُ والصَّدقةُ في الإسلامِ والدولةِ الإسلاميَّةِ صورةً مؤسَّسيةً في شكل الأوقافِ التي يُنفَقُ رِيعُها على المساجدِ، والمستشفيات، والأسبلة، ودور العلم، وتجهيز الجيوشِ، وإغاثة المنكوبين والمحتاجين، ولقد دلت النصوص الشرعية على مشروعية العمل التطوعي باعتباره من الأعمال الصالحة التي يتقرب بها العبد إلى الله عز و جل وهو لا يخرج عن أعمال البر والإحسان والمعروف والصدقة والخير ، وقد ثبتت مشروعيته في القرآن الكريم والسنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم[٢٢]، يقول تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝﴾، ويقول تعالى في سورة الماعون: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ۝﴾، كما دعا إلى استباق الخيرات يقول تعالى: ﴿ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [سورة البقرة: ١٤٨] وبجانب دعوة الإسلام للتعاون ومساعدة المسلم لأخيه المسلم فإنه يدعو إلى الجمع بين الجزاء الدنيوي والأخروي، يقول تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}[٢٣]، وقد حثنا الدين الحنيف على التطوع، وأثني القرآن الكريم على من يسخر نفسه لخدمه الآخرين ورسم الابتسامة على وجوههم والأخذ بأيديهم

٢٢ - ينظر: "عزوف الشباب عن العمل التطوعي في الجهات الخيرية"، (ص ٥-٨)
٢٣ - ينظر:" جدد شبابك بالتطوع"،(ص٢٢-٢٥)

نحو طريق الصلاح والسداد، وفيما يلي بعض الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي توضح الحث على العمل التطوعي والذي هو بمثابة صدقة في الإسلام، قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: ٩٧]، وقال تعالى: { فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ }، وقال تعالى: { لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)}، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ(٢٥)}، وقوله تعالى:{وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}، وقوله تعالى: {وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ}، ومن معاني الآية الكريمة : فعل الخير فرضاً ونفلاً، جاء في «تفسير الثعلبي» (٤/ ٢٥٥):«وقال الحسن وغيره: من تطوع خيرًا يعني به الدين كلَّه أي: فَعَلَ غير المفترض عليه من طواف أو صلاةٍ أو زكاةٍ أو نوعٍ من أنواع الطاعات كلها» ، وقد رجح علماء التفسير أن قوله (خيراً) يشمل عموم أفعال الخيرات من الطاعات والأعمال والنوافل المختلفة، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٧٧﴾، وبذل النصح والمعروف وإغاثة اللهفان وكفالة اليتيم وإنظار المعسر ونشر العلم وتثقيف المجتمع من مقومات المجتمع الذي لا ينهض إلا على التكافل والتراحم وتبادل المنافع و المصالح[٢٤]، إن العمل التطوعي يحظى بالمكانة العالية في الإسلام، لأنه ينطلق من قاعدة جليلة ألا وهي الإيمان بالله واليوم الآخر، ويرتكز على أسس وثوابت منها البر والإحسان لنيل رضا الله ومحبته، ففي " صحيح البخاري"،(٦٥٠٢)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ " ، وذلك طمعاً للأجر والثواب من الله عز وجل قاصداً بعمله وجه الله تعالى، لا سمعة ولا رياءً وإنما طلباً للفوز بالجنة والنجاة من النار كما قال تعالى:﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦﴾، وجاءت آية أخرى توصي بمراعاة اليتيم والسائل والمحتاج قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ١٠﴾، الآية الكريمة تدعو إلى مراعاة حقوق الضعفاء والمساكين وتقديم النفع لهم والرفق بهم عند التعامل معهم، فبالقيام بالعمل التطوعي أو بعض مظاهره يفوز العبد بالتوفيق والتيسير الرباني، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾، وهذه الآيات وغيرها تبين أن مجالات العمل التطوعي متعددة ومتنوعة، الأمر الذي يعكس أهمية العمل التطوعي ومكانته وضرورته للفرد والمجتمع، قال تعالى {وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ}، وفعل الخير يشمل كل أوجه البر والإحسان والتحلي بمكارم الأخلاق، وفي "مسند الشهاب"، للقضاعي،(١/ ١٠٨)، عن جابر، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ"، والحديث يشير إلى نفع الناس أجمعين وليس نفع المسلمين فقط، وفي "جامع الترمذي"،(١٩٥٦)، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ البَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ"، وهذا يدل على أن التصدق المعنوي له مكانة كذلك في الإسلام وقد يكون البعض أشد حاجة له

٢٤ - ينظر: "عزوف الشباب عن العمل التطوعي في الجهات الخيرية"، (ص ٥-٨)

من التصدق المادي [٢٥]، وفي " صحيح البخاري"،(٦٠٠٩)، و "صحيح مسلم"،(٢٢٤٤)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا، فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا؟ فَقَالَ: "فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ"، كما ورد في السنة النبوية أحاديث كثيرة أيضاً تدعونا إلى أن نسعى في قضاء حوائج الناس حتى ننال الأجر العظيم من الله تعالى[٢٦]، ففي " صحيح البخاري"،(٦٠٠٧)، وفي " صحيح مسلم"،(٢٩٨٢)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَأَحْسِبُهُ قَالَ - وَكَالْقَائِمِ لَا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ" ، وفي " صحيح البخاري"،(٦٠٢٢)، وفي " صحيح مسلم"،(١٠٠٨)، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ" قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ "يَعْتَمِلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ" قَالَ قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: "يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ" قَالَ قِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: "يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوِ الْخَيْرِ" قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: "يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ"، وفي " صحيح البخاري"، (٩)، وفي " صحيح مسلم"، (٣٥)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ، شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ"، وأخرج ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج » (ص٤٧):عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: " أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تَدْخِلُهُ عَلَى مُؤْمِنٍ: تَكْشِفُ عَنْهُ كَرْبًا، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ شَهْرَيْنِ فِي مَسْجِدِي، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رِضًى، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يُثْبِتَهَا لَهُ ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ تَزِلُّ الْأَقْدَامُ، وَإِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ لَيُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ "، يعد فعل الخير من أخص خصائص المجتمع الإيماني، فهو مراد ربنا، وهو مطلب رباني، ودعوة إلهية، وطريق فلاحنا، قال تعالى: {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (٧٣)}، ولا قيمة للحياة دون فعل الخير، ولا نجاة للعبد في الآخرة دون فعل الخير، وهو طريق في الحياة موصل إلى النجاة في الآخرة، وهو نهر يتدفق عبادات وقربات ونوافل، وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم كما في " جامع الترمذي"،(٣٢٣٣)، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي تبارك وتعالى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، - قَالَ أَحْسَبُهُ فِي الْمَنَامِ - فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الأَعْلَى؟ " قَالَ: " قُلْتُ: لَا "، قَالَ: «فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ» أَوْ قَالَ: " فِي نَحْرِي، فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فِي الكَفَّارَاتِ، وَالكَفَّارَاتُ المُكْثُ فِي المَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَالْمَشْيُ عَلَى الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ، وَإِسْبَاغُ الوُضُوءِ فِي المَكَارِهِ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِذَا صَلَّيْتَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ المُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ المَسَاكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ، قَالَ: وَالدَّرَجَاتُ إِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ "، وفعل الخير يسمو بإنسانية الإنسان، وبفعله يتشبه بالملائكة، ويتخلق بأخلاق الأنبياء، وقد أوصى الإسلام الإنسان بفعل الخير، ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾،إن العمل التطوعي ولو كان يسيراً

---

٢٥ - ينظر:" جدد شبابك بالتطوع"،(ص٢٢-٢٥)
٢٦ - ينظر:" العطاء التطوعي طريقك لخدمة الإسلام"،(ص١٣-١٤)

فإن الله تعالى يباركه وينميه ولا يضيع أجر من أحسن عملا، ولا يظلم مثقال ذرة، قال تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ} [سورة الزلزلة: ٧]، فالتطوع لتقديم المساعدة للآخرين عمل جليل رغب فيه الدين ووعد القائمين به أجراً عظيماً، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله والإحسان إلى عباده، فسوف يلقى الذكر الطيب في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة[٢٧] والإسلام بهذه الصورة يؤكد على أمرين طبيعيين تدفع إليهما طبيعة الإنسان ووجوده الخاص[٢٨]: أن يعيش في الحياة ليحفظ لنفسه البقاء، وأن يشارك غيره في النشاطات المختلفة المحققة لصالح الجماعة والمجتمع، وقد أكد الإسلام على ضرورة الملاءمة بينهما لصالح المجتمع وأفراده أنفسهم، وقد ظهر جلياً حرص الإسلام على تشجيع العمل التطوعي بصفة عامة في فكرة التكافل الاجتماعي الذي يقصد به أن يكون آحاد الشعب في كفالة جماعتهم، وأن تكون كل القوى الإنسانية في المجتمع متلاقية في المحافظة على الآحاد ومصالحهم، ومن ثم تحافظ على دفع الأضرار عن المجتمع، وإقامته على أسس سليمة[٢٩]، وعلى هذا فإن العمل التطوعي في المجتمع الإسلامي يرتكز على نواة صلبة من عقيدة الإيمان بالله، وهي التي دفعت المجتمع الإسلامي على مر العصور أفراداً وجماعات إلى المبادرة لفعل الخير، والسعي طواعية، لتقديم العون للمحتاجين، ابتغاء مرضاة الله تعالى، ويحظى العمل التطوعي اليوم باهتمام متزايد ونمو متسارع، فقد أصبح يمثل قيمة مضافة للثروة والاقتصاد الوطني، بما يملكه من أصول، وبما يوفره من خدمات، وبما يموله من مشروعات في مجالات حيوية كالتعليم، والصحة، والبيئة، ورعاية الطفولة وغيرها من الخدمات والمنافع العامة للبيئات والفئات الأكثر احتياجا وفقرا٣٠، ومن هنا فإن الدين الإسلامي الحنيف قد حث على العمل التطوعي بشتى أشكاله وأنواعه، بل شجع عليه بأساليب متنوعة ووسائل مختلفة، فالعمل التطوعي يقوم على أساس التعاون المرسخ لتلك المبادئ السامية والأصول الثابتة التي دعا إليها الإسلام وحرض عليها[٣١] فما كان الإسلام مُغْفِلاً للجوانب التطوعية في هذه الحياة ، بل أظهر بكل جلاء أهمية هذا الأمر ليسعى من خلاله لزرع المحبة والرحمة في هذه المعمورة[٣٢]

المطلب الثالث: أهمية التطوع

العمل التطوعي مراد ربنا وهدي نبينا، يحقق الفرد من ممارسته مكاسب دينية أهمها نيل الأجر والثواب من الله عز وجل، حيث أن كافة صور العمل التطوعي مرتبطة بعقيدة الإيمان بالله تعالى وبالهدف الأسمى لخلق الإنسان، وإن هذا الارتباط يوفر القوة الدافعة، والطاقة الروحية، والحيوية للقيام بهذا العمل، حيث أن التطوع بالمال والوقت والجهد صفة إنسانية لازمت البشرية عبر العصور، وزكتها جميع الأديان السماوية، واستحسنتها الأعراف الاجتماعية٣٣فليس الإنسان بمعزل عن الأحداث التي تهدد حياته وتعرضها للخطر، وتهدد أمنه واستقراره في كل عصر ومصر؛ ومن ثم تولدت الإرادة لد يد العون لمواجهة تلك المخاطر، والمساهمة في تحقيق مستوى معيشي أفضل طالما توافرت الدوافع الإنسانية، وجاءت الديانات لتؤكد هذا المفهوم وتعززه، وعرف العرب التطوع قبل ظهور الإسلام في إطعام الطعام، وخدمة ابن السبيل، وإغاثة الملهوف، ونصرة المظلوم، وقد يكون "حلف الفضول" الذي عقدته القبائل قبل الإسلام لنصرة المظلوم أحد أهم دعائم التطوع في العصر الجاهلي، وجاء الإسلام ليرسي دعائم التطوع ويؤسس بنيانه، فالله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه، وقد أوصانا ديننا الحنيف بإغاثة الملهوف، وإطعام

---

٢٧ - ينظر:" العطاء التطوعي طريقك لخدمة الإسلام"،(ص٨-١١)
٢٨ - ينظر:" جدد شبابك بالتطوع"،(ص٢٢-٢٥)
٢٩ - ينظر: "عزوف الشباب عن العمل التطوعي في الجهات الخيرية"، (ص ٥-٨)
٣٠ - ينظر: " ممارسة العمل التطوعي لدى طلاب الجامعات في مصر "دراسة ميدانية""،(ص٢٢٦-٢٢٧)
٣١ - ينظر: "واقع العمل التطوعي في مجال البحث العلمي عبر شبكات التواصل الاجتماعي لطالبات كلية التربية بجامعة جدة"،(ص٢٨٨-٢٨٩)
٣٢- نماذج من العمل التطوعي في القرآن الكريم، د. محمد الواصل
٣٣ - ينظر: " ممارسة العمل التطوعي لدى طلاب الجامعات في مصر "دراسة ميدانية""،(ص٢٧٥-٢٧٦)

المساكين، وكانت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام زاخرة بالبذل والعطاء، وفعل الخير، وكانوا إذا دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أمر سارعوا إلى تنفيذه وتباروا فيه، وما أجمل ما حدث بين الشيخين أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ففي " جامع الترمذي"،(١٦٧٨)، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال سمعت عُمَرَ بن الخطاب يقول: أمرنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوماً أن نَتَصَدَّقَ، فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليومَ أسْبِقُ أبا بكر إنْ سبقتُه يوماً فجئتُ بنصف مالي، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "ما أبقيتَ لأهلك؟ " قلت: مثله، قال: وأتى أبو بكر بكُلِّ ما عنده، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "ما أبقيتَ لأهلك؟ " قال: أبقيتُ لهم اللهَ ورسولَه، فقلت: لا أسابِقُكَ إلى شيءٍ أبداً، ويمثل العمل التطوعي أعلى درجات العمل، وأكثرها رقيا، وأجملها صورة، وأشملها نفعا، وعندما نزل قول الله ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ٩٢﴾، سارع الصحابة الكرام إلى البذل والعطاء، بل قدموا أموالهم وما يملكون في سبيل الله، إعلاءً للمصلحة العامة، وهذا قمة العمل التطوعي الخيري، وفي القرآن الكريم حرب على الذين يقفون في طريق العمل التطوعي، أو يلمزون الذين يتطوعون، ونصرة لمن تطوع، قال تعالى:﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٩﴾، ولقد بنى المسلمون الأوائل أمجادهم وصنعوا تاريخهم بالتطوع الذي بات عنوانا دائماً لهم في كل أعمالهم، فقد تبرعوا بما اكتسبوه وغنموه لخزينة الدولة، والفقراء ،والمساكين، والمحتاجين، وطلبة العلم، وبناء المساجد، وشق الطرق، وإعداد الجيوش، ورعاية الأيتام، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم الناس صدقة بما ملكت يده، وكان لا يستكثر شيئا أعطاه لله تعالى ولا يستقله، وكان لا يسأل أحد شيئا عنده إلا أعطاه قليلا كان أو كثيرا، وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر، وكان العطاء والصدقة أحب شيء إليه، وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذه، وكان أجود الناس بالخير، يمينه كالريح المرسلة، وكان إذا عرض له محتاج آثره على نفسه تارة بطعامه وتارة بلباسه، وكان ينوع في أصناف عطائه وصدقته، تارة بالهبة، وتارة بالصدقة، وتارة بالهدية، وتارة بشراء الشيء، ثم يعطي البائع الثمن والسلعة جميعا[٣٤]، فالعمل التطوعي يمثل سلوكاً حضارياً ترتقي به المجتمعات والحضارات منذ قديم الزمان، حيث أصبح يمثل رمزاً للتكاتف والتعاون بين أفراد المجتمع بمختلف مؤسساته، حيث ارتبط العمل التطوعي ارتباطاً وثيقاً بكل معاني الخير والعمل الصالح عند كل المجتمعات البشرية منذ الأزل وذلك باعتباره ممارسة إنسانية، ولا شك أن للعمل التطوعي أهمية كبيرة تؤثر بشكل إيجابي في حياة الفرد والأسرة والمجتمع، ومن كافة المستويات الاقتصادية والاجتماعية والتنموية، حيث يمثل تجسيدا عمليا لمبدأ التكافل الاجتماعي، باعتباره مجموعة من الأعمال الإنسانية والخيرية والمجتمعية وإنه عمل اختياري نابع من إرادة الشخص نفسه وإدراكه لدوره في المجتمع، فضلا عما يناله من بركة وحياة طيبة وسكينة نفسية لا تقدر بثمن، ويعد العمل الاجتماعي التطوعي رافداً أساسياً للتنمية الشاملة ومن أهم الوسائل المستخدمة للمشاركة في النهوض بمكانة المجتمعات في عصرنا الحالي، ويحظى العمل التطوعي بالاهتمام المتزايد على المستوى العالمي، حيث يعد ظاهرة عالمية صدرت فيه العديد من المواثيق العالمية، ومن مظاهر هذا الاهتمام ما قامت به منظمة الأمم المتحدة من طرح برنامج الأمم المتحدة الانمائي منذ عام ١٩٧٦ م وبرنامج متطوعي الأمم المتحدة عام ١٩٨٦ م، وإقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة برنامج متطوعي الأمم المتحدة عام ١٩٧١ م، كما تقرر أن يكون يوم ٥ ديسمبر من كل عام يوما عالميا للتطوع، كما اعتمد عام ٢٠٠١ م عاما دوليا للمتطوعين[٣٥]، فقد قامت الخدمات التطوعية بلعب دور كبير في نهضة الكثير من الحضارات و المجتمعات عبر العصور بصفتها عملاً خالياً من الربح

---

٣٤ - ينظر: " ممارسة العمل التطوعي لدى طلاب الجامعات في مصر "دراسة ميدانية""،(ص٢٧٥-٢٧٦)

٣٥ -ينظر:" الصورة الذهنية المدركة للعمل التطوعي وعلاقتها بالدافعية للتطوع لدى عينة من طلبة جامعة نزوى بسلطنة عمان في ضوء بعض المتغيرات"، (ص١٤)

والعائد، وقد لعب المتطوعون دوراً هاماً كماً و كيفاً في رعاية و تطوير الدول الصناعية منها و النامية من خلال البرامج القومية[٣٦]

وتتمثل أهمية العمل التطوعي في[٣٧]:

١- يحقق التطوع فكرة التكافل الاجتماعي التي حث عليها الإسلام، ويتحقق من ورائها الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى.

٢- تنمية وتعزيز الحس الإيماني لدى المتطوع، وتنمية قيمة الاحتساب، والعمل ابتغاء مرضاة الله.

٣- تعويد الفرد على تحمل المسئولية، وعلى البذل والعطاء، وتنمية قدرة الإنسان على التفاعل، والتواصل مع الآخرين، وتنمية قدراته واكتساب خبرات جديدة ويعزز من ثقته بنفسه وانتمائه لوطنه، ويكسبه احترام المسؤولية ومواجهة المشكلات بشكل مباشر.

٤- يسهم التطوع في تنمية الشعور بالولاء والانتماء للمجتمع، كونه يسهم في تنامي الإحساس بالمسئولية الاجتماعية، والحد من النزعة الفردية، والتخلص من الأنانية والأثرة، وتنمية الحس الاجتماعي، أنه زاد ينفع الإنسان في آخرته، قال تعالى: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾"

٥- شعور المتطوع بالسعادة وتقدير الذات، وشغل وقت الفراغ بما يعود على المجتمع بالفائدة.

٦- إكساب المتطوع الخبرات والمهارات من خلال مشاركته في الأعمال التطوعية.

٧- العمل التطوعي من منظور التربية الإسلامية ضرورة اجتماعية تهدف إلى إظهار الوجه الإنساني الجميل للمجتمع، والحفاظ على الهوية الإسلامية النابعة من إسلامنا الحنيف المشجعة على الخير، وتقديم يد العون لمن احتاجها [٣٨]، ومع تعاظم دور التطوع في تسخير الجهود البشرية لتوفير الخدمات الاجتماعية، الاقتصادية، والثقافية، أصبح انتشاره من المقاييس التي يقاس بها تقدم المجتمع وتطوره، باعتباره مؤشراً لتفاعل الأفراد مع مجتمعهم للنهوض به وتنميته في كافة المجالات، إضافة إلى إسهامه في بناء شخصية المتطوع وتنميته مهارياً، واجتماعياً، وأخلاقياً، ودينياً وفكرياً، وتوظيف طاقاته وإمكاناته في هذا المجال، فهو ميدان واسع يشتمل على مظاهر متعددة فهو قوة محركة للمجتمع تنبع من داخله وتقوم على جهود أفراده وجماعته ومؤسساته لمواجهة نهضته وتطوره وتقدمه من جانب ومن جانب آخر علاج لمشكلاته[٣٩]

وتبرُزُ أهميةُ العمل التطوعي في تنمية المجتمعِ من خلال مِحْورينِ هامَّينِ:

١- الاستفادة من الموارد البشرية: حيث يمثِّلُ العملُ التطوعيُّ دورًا إيجابيًّا في إتاحة الفرصة لكافة أفراد المجتمع للمساهمة في عمليَّاتِ البناء الاجتماعيِّ والاقتصادي اللازمة في كلِّ زمانٍ ومكان، ويساعد العملُ التطوُّعيُّ على تنمية الإحساس بالمسؤوليَّةِ لدى المشاركين، ويُشعِرُهم بقدرتِهم على العطاء وتقديمِ الخبرة والنَّصيحة في المجال الذي يتميَّزون فيه.

---

٣٦ - ينظر:" جدد شبابك بالتطوع"، (ص٥-٦)

٣٧ - ينظر: " ممارسة العمل التطوعي لدى طلاب الجامعات في مصر "دراسة ميدانية""،(ص٢٤٠-٢٤٢)، و"عزوف الشباب عن العمل التطوعي في الجهات الخيرية"، (ص٣)

٣٨ - ينظر: "واقع العمل التطوعي في مجال البحث العلمي عبر شبكات التواصل الاجتماعي لطالبات كلية التربية بجامعة جدة"،(ص٢٨٨-٢٨٩)، ومقال: "ثقافة التطوع في مجتمعنا.. ضرورات تحتاج إلى تفعيل"، منشور في صحيفة الرياض، ٢٤-٣-٢٠٠٧م، اطّلع عليه بتاريخ ١٩-٧-٢٠٢٤م.

٣٩ - ينظر: "عزوف الشباب عن العمل التطوعي في الجهات الخيرية"، (ص٩-١٠)

٢- الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة: حيث يساهمُ العمل التطوُّعي في تخفيض تكاليفِ الإنتاجِ، ويساعدُ على تحقيق زيادةِ الإنتاج، لذا حرَصت الدُّوَلُ المتقدِّمة على ترسيخ مفهوم العمل التطوُّعي، والحثِّ عليه بين جميع الفئات والشَّرائحِ الاجتماعية المختلفةِ، وخلق المناخ الملائم لتشجيعِ كلِّ الأفراد للعطاءِ والإبداعِ، وبذلك يرتبط مفهومُ العمل الخيريِّ والتطوُّعي بالتنمية الشاملة، من خلال مجموعِ الأعمال والبرامج التي تستهدف الإنسانَ وترقَى به، ابتداءً من الفرد، ثم الأسرةِ، ثم تمتدُّ إلى المجتمع، فصلاحُ الأسرةِ من صلاحِ الفردِ، وصلاح المجتمع من صلاح الأسرةِ، وتظهر حقيقةُ العمل الخيري وخططه فيما يمكِنُ أن تُحدِثَه من تأثيراتٍ وتغيرات في المجتمعِ باتجاه التنمية الشاملةِ[٤٠]

المطلب الرابع: أنواع التطوع

التطوع يندرج تحت عموم فعل الخير المأمور به في غير آية من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: {وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، وقوله {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى}

والتطوع ينقسم إلى نوعين رئيسيين، هما[٤١]:

الأول: التطوع التعبدي: هو عبادة زائدة عن الفرض يتقرب بها العبد لربه سبحانه وتعالى، رغبة في نيل رضاه سبحانه ومحبته ، يعني ما يفعله العبد من الشعائر التعبدية المعروفة كالصلاة والصيام والحج، ونحوها، تطوعًا من غير فريضة، والتقرُّب إلى الله بما ليس بفرضٍ من العبادات[٤٢]، والزيادة على ما وجب بحق الإسلام، سواء كانت هذه الزيادة واجبة أم لا[٤٣]، قال تعالى:﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾البقرة: ١٥٨﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ١٨٤

الثاني: التطوع الاجتماعي: هو كل ما يقدمه الفرد من خدمات للآخرين بلا أجر مادي، سواء كان ما يبذل علمًا، أو مالًا، أو وقتًا، أو جهدًا بدنيًا، أو رأيًا، أو غيرها مما يملكه الفرد ويحتاجه الآخرون، وهذا النوع من التطوع هو المراد غالبًا عند إطلاق نحو مصطلح: العمل التطوعي، العمل الخيري، العمل الاجتماعي، وهي مصطلحات تدل على: «كل جهد بدني أو فكري أو عقلي أو قلبي يأتي به الإنسان أو يتركه تطوعًا دون أن يكون ملزمًا به لا من جهة الشرع ولا من غيره، ليحقق به نفعًا لغيره دون عوض مالي».

المطلب الخامس: العلاقة بين التطوع الاجتماعي والتطوع التعبدي

أسمى الأعمال الإنسانية تلك التي لا تنتظر مقابلاً لها، بل تنبع من القلب ومن رغبةٍ لدى الإنسان في العطاء والتضحية، والعمل التطوعي مثال حيٌّ على هذه الأعمال وهو ميدان تتعدد أشكاله ليدخل في جميع ميادين الحياة: في الاجتماعي، الصحي، البيئي، التربوي، وغير ذلك، وفي هذا العمل المجاني ينطلق الإنسان المتطوع من إحساسٍ بالمسؤولية تجاه من وما حوله، تجاه محيطه الإنساني وتجاه محيطه المكاني ومع اتساع رقعته لتشمل كل ميادين الحياة وتظهر أرقى أشكال التكامل البشري، ودوافع العمل التطوعي متعددة أهمها الدافع الديني الذي ينبع من إحساس الإنسان المتدين بالواجب تجاه مجتمعه في أشكاله المتعددة وتجاه البيئة التي تحيط به والتي هي هبة من اللهَ تعالى، ومن الواجب المحافظة عليها وكل هذا إرضاء لوجهه الكريم وطمعاً في ثوابه العظيم، **فثمة علاقة وثيقة** بين التطوع التعبدي، والتطوع

---

٤٠ - ينظر:" جدد شبابك بالتطوع"، (ص٩)، والعمل التطوعي وأثره في التنمية الشاملة

٤١ -ينظر: " جدد شبابك بالتطوع"،(ص٧-٨)، وصورة العمل التطوعي ومؤسساته لدى الشباب الجامعي في ظل المتغيرات الدولية، ص٣٩، والتطوع - modoee.com

٤٢ - ينظر: «الموسوعة الفقهية» (١/ ٤٢٥)

٤٣ - ينظر: «بغية المتطوع في صلاة التطوع» (ص٩)

الاجتماعي، فالتطوع التعبدي وإن كان يخص (العبادات المحضة) من صلاة وصيام وحج، ونحوها، مما يتقرب به العبد لربه سبحانه ابتغاء مرضاته ومحبته[٤٤]، فكذلك التطوع الاجتماعي يتحول بالنية الصالحة إلى (عبادات غير محضة) ينال بها العبد رضا ربه سبحانه وتعالى ومحبته، ومن ثم كان هذا النوع من التطوع خلق الأنبياء والمرسلين، وشعار الصالحين من عباد الله أجمعين، فقد رغب نبينا صلى الله عليه وسلم في الأعمال التطوعية قولًا وعملًا، فشارك بنفسه تارة في بعض الأعمال التطوعية: كحلف الفضول، وإعادة بناء الكعبة، وبناء مسجد المدينة، وتارة أخرى: رغب فيها قولًا في كثير من أحاديثه الشريفة: حتى أنه صلى الله عليه وسلم قد جمع لنا في حديث واحد أصنافًا من الأعمال التطوعية، كـ: الصلح بين المتخاصمين، ومساعدة المحتاج، والكلمة الطيبة، وإماطة الأذى عن الطريق، وإرشاد الضال، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإفشاء السلام، وغيرها، ترغيبًا لنا في فعلها، وتارة ثالثة: نجده صلى الله عليه وسلم يكرم أصحاب الأعمال التطوعية ويهتم بشأنهم، ففي " صحيح البخاري"،(٤٥٨)، و" صحيح مسلم"،(٩٥٦)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ - أَوْ شَابًّا - فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَسَأَلَ عَنْهَا - أَوْ عَنْهُ - فَقَالُوا: مَاتَ، قَالَ: "أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي" قَالَ: فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا - أَوْ أَمْرَهُ - فَقَالَ: "دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ" فَدَلُّوهُ، فَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ عز وجل يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ" ، بل بين لنا صلى الله عليه وسلم أن هذه الأعمال لا يقتصر مجالها على الإنسان فحسب، وإنما تشمل الحيوان والطير كذلك؛ فقال صلى الله عليه وسلم:"في كل ذات كبد رطبة أجرٌ"، وفي " صحيح مسلم"،(١٥٥٢)، عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم دَخَلَ عَلَى أُمِّ مُبَشِّرٍ الْأَنْصَارِيَّةِ فِي نَخْلٍ لَهَا، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "مَنْ غَرَسَ هَذَا النَّخْلَ؟ أَمُسْلِمٌ أَمْ كَافِرٌ؟ " فَقَالَتْ: بَلْ مُسْلِمٌ، فَقَالَ: "لَا يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرْسًا، وَلَا يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ، وَلَا دَابَّةٌ، وَلَا شَيْءٌ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً" ،وموسى عليه السلام: سقى للفتاتين وهو الغريب الذي لا يعرف ولا يعرف، والخضر: أقام جدار الغلامين اليتيمين حفظًا لمالهما بدون أجر، وذو القرنين: بنى السد تطوعًا، ويوسف عليه السلام: تطوع بتفسير رؤيا الملك دون أن يشترط لنفسه شيئًا، والصديق رضي الله عنه: حلب لجواري الحي منائحهم، وتعهد سرًا امرأة عمياء يقضي لها أشغالها، وذو النورين رضي الله عنه: اشترى بئر رومة وأوقفها على المسلمين، وعلي رضي الله عنه: كان يكنس بيت مال المسلمين بنفسه، وذلك يبين أن التطوع الاجتماعي كان خلقًا أصيلًا عند الأنبياء والمرسلين والصالحين من عباد الله أجمعين[٤٥]، فجميع أنواع المعروف تكون صدقة، ففي " صحيح البخاري"،(٢٠٦١) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ» ، يقول النووي:«أَيْ لَهُ حُكْمُهَا فِي الثَّوَابِ وفيه أنه لا يحتقر شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَبْخَلَ بِهِ»[٤٦]، والإمساك عن الشر صدقة والكلمة الطيبة صدقة، ففي " صحيح البخاري"،(٢٨٩١)، و" صحيح مسلم"،(١٠٠٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ" قَالَ: "تَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ" قَالَ: "وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ"، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، فكل صدقة يقدمها المسلم لله تعالى يثاب عليها، ولو كانت وزن ذرة من

٤٤ - ينظر: «صدقة التطوع في الإسلام» (ص ٧٠)

٤٥ - التطوع - modoee.com

٤٦ - «شرح النووي على مسلم» (٧/ ٩١)

الخير[٤٧]، ففي " صحيح البخاري"،(٢٨٦٠)، و" صحيح مسلم"،(٩٨٧)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: " الخَيْلُ لِثَلَاثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ وِزْرٌ، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ: فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَطَالَ فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيَلِهَا ذَلِكَ مِنَ المَرْجِ أَوِ الرَّوْضَةِ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٍ، وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيَلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ كَانَتْ أَرْوَاثُهَا وَآثَارُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهَرٍ، فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَهَا كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَهُ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْرًا وَرِئَاءً، وَنِوَاءً لِأَهْلِ الإِسْلَامِ فَهِيَ وِزْرٌ عَلَى ذَلِكَ " ، وَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنِ الحُمُرِ، فَقَالَ: «مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الآيَةُ الجَامِعَةُ الفَاذَّةُ»: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة: ٨]، وفي «مسند الشهاب »، للقضاعي، (١٠٢)، عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفُ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَإِنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ وَتَنْفِي الْفَقْرَ»، وفي «المعجم الكبير» للطبراني (٨٠١٤)، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ»، وقال تعالى:﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾، كما وحثت الأحاديث النبوية في عشرات الأحاديث على التطوع في المجال التعبدي، وغيرها من المجالات الأخرى، فيدخل في باب المعروف كل عمل يقوم به الفرد من غير إلزام[٤٨]، فكل عمل تطوعي يحقِّقُ الترابطَ والتآلُفَ والتآخِيَ بين أفرادِ المجتمعِ يُعتبرُ من الأعمالِ التي يحبُّها اللهُ، ويجزي فاعلَها الأجرَ، قال تعالى: (لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا)[النساء:١١٤][٤٩]

المطلب السادس: مجالات العمل التطوعي[٥٠]:

لا يوجد حدود لاهتمامات الانسان، كما لا يوجد حدود لمجالات التطوع، فيعد مجال التطوع بمثابة ميدان واسع يشمل كافة جوانب الحياة بأبعادها المختلفة التي يشعر بها كل متطوع بأنه يلبي مطلباً إنسانياً ووطنياً يقوم به دون مقابل، وتتعدد المجالات التي يشارك بها المتطوعون على الجانب الذي يستطيع فيه المتطوع تقديم الخدمة لأفراد المجتمع، والإمكانات والمهارات التي يمتلكها ليصبح في النهاية عنصرا فعالا، وذو قدرة على تقديم كل ما لديه عند حاجة الآخرين إليه، فالإنسان هو الذي يحدد أولويات اهتماماته التطوعية، ومن المعلوم أن الإسلام له خصائص عظيمة يتميز بها عن غيره من الأديان، وقد انعكست هذه الخصائص على ممارسة المسلمين للعمل الاجتماعي التطوعي، سواء في مجال الخدمات الاجتماعية الإنسانية، أو مجال المعاملات، أو مجال العبادات، لذلك فإن روح الإسلام السمحة حثت على التطوع في مجال الخدمات الاجتماعية والإنسانية ورغبت فيها، فنجد التطوع يؤدي دوراً كبيراً في رعاية الأيتام، والمساكين، والمسنين، وذوي الاحتياجات الخاصة، والأرامل، حيث كان لهم نصيب كبير من العمل الخيري الذي يقوم به أهل الخير والمعروف، وقد تعددت صور العمل الاجتماعي في مجال الخدمات الاجتماعية بتعدد حاجات الناس، وتزايدت بتزايد رغباتهم، أما عن التطوع في مجال المعاملات فيقول ابن خلدون:

---

٤٧ - ينظر: «صدقة التطوع في الإسلام» (ص٩١)

٤٨ -ينظر:" العمل التطوعي من منظور التربية الإسلامية"، (ص ١٢٠-١٢١)، بتصرّف.

٤٩ - ينظر: "الأثر الاقتصادي للأعمال التطوعية"،(ص٤)، وللاستزادة ينظر: "نظرية التطوع من كتاب العمل الخيري والإنساني في دولة الإمارات العربية المتحدة دراسة ميدانية لعينة من العاملين والمتطوعين في الجمعيات الخيرية"، (ص٣٢) ومسار الرعاية الاجتماعية من كتاب:" إدارة العمل التطوعي واستفادة المنظمات الخيرية والتطوعية رؤية للخدمة الاجتماعية"، (ص١٤)

٥٠ -ينظر:" الصورة الذهنية المدركة للعمل التطوعي وعلاقتها بالدافعية للتطوع لدى عينة من طلبة جامعة نزوى بسلطنة عمان في ضوء بعض المتغيرات"، (ص٣٩-٤٠)

"إن الإنسان مدني بالطبع " أي لا بدّ له من الاجتماع [٥١]، بمعنى أنه يميل إلى الاتصال بغيره لتحقيق رغباته وحاجاته؛ وهذا يدل على أن الإنسان لديه ميل حب التعامل مع الآخرين وتقديم المساعدة لهم، إلا أن شمولية العمل الاجتماعي في الإسلام لم تجعله مقتصراً على مجال الخدمات الاجتماعية والإنسانية أو المعاملات فحسب، بل تعداها ليشمل مجال العبادات، التي هي صلة تجمع بين العبد وربه سبحانه، لذلك كان مجال العمل التطوعي فيها ظاهراً لجبر النقص الذي يقع في الفرائض، وما صلاة النافلة إلا سيّاج وحماية للفريضة، والصيام فيه من التطوع ما هو معلوم، وكذا الحال في الزكاة وصدقة التطوع، وهذه الصدقة لا تقتصر على الصدقة بالمال فحسب، بل تشمل الصدقة المعنوية كتقديم المساعدة للمحتاجين من إعانة الإنسان في حمل متاعه، وإماطة الأذى عن الطريق وغيرها[٥٢]

ومن هذه المجالات[٥٣]:

(أ) المجال الاجتماعي: فقد ارتكز العمل التطوعي منذ بداياته على فكرة الخير، والأعمال الخيرية وذلك امتدادا للمشاعر الدينية التي عاشها الانسان، ويتضمن (رعاية الطفولة - رعاية المرأة - إعادة تأهيل مدمني المخدرات - رعاية الأحداث - مكافحة التدخين - رعاية المسنين – الإرشاد الأسرى - مساعدة المشردين - رعاية الأيتام - مساعدة الأسر الفقيرة)، إن ميدان التطوع الاجتماعي في القرآن الكريم يتسع ليشمل كل خير يفعله المسلم ابتغاء فضل ربه سبحانه ورضوانه؛ وعليه فإن مجالات التطوع الاجتماعي تنقسم إلي[٥٤]

أولًا: التطوع بالفعل من صور التطوع بالفعل:

١- الكفالة

٢- السعي لإيصال الخير للأخرين

٣- حفظ الوديعة

٤- القرض الحسن

٥- الإصلاح بين المتخاصمين

٦- إطعام الطعام

٧- التطوع بالنصيحة

٨- التطوع بالإيثار

٩- التطوع بالدعاء

ثانيًا: التطوع بالترك

إن هذا النوع من التطوع يدل على سعة مفهوم التطوع في القرآن والسنة، فالمسلم الذي لا يستطيع أن يقدم عملًا نافعًا للآخرين، يمكنه أن يسهم بحظ ونصيب في نفعهم حين يكف شره عنهم؛ فهذا الكف يعد صدقة منه على نفسه وعلى الناس، وسمي هذا النوع من التطوع «تطوعًا بالترك»، لأن المتطوع هنا لم يفعل شيئًا، وإنما ترك ما كان سيفعله من الشر، فصار متطوعًا بترك فعل هذا الشر، ومن صور ذلك:

١- كف الأذى عن المسلمين

٢- التنازل عن الحقوق المالية الواجبة

---

٥١ - «تاريخ ابن خلدون» (١/ ٥٤)

٥٢ - ينظر: "عزوف الشباب عن العمل التطوعي في الجهات الخيرية"، (ص٩- ١٠)

٥٣ - يراجع: "فلسفة العمل التطوعي والمسئولية الاجتماعية في المؤسسات التربوية"،(ص ٥ – ١٨)، و"العمل الجماعي التطوعي"، و" العطاء التطوعي طريقك لخدمة الإسلام"،(ص١٥)

٥٤ - نبذه عن العمل التطوعي- https://asdiqa.org.sa/

قَال الله تعالى:﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾،وإن كان المدين غير قادر على السداد فأمهلوه إلى أن ييسِّر الله له رزقًا فيدفع إليكم مالكم، وإن تتركوا رأس المال كله أو بعضه وتضعوه عن المدين فهو أفضل لكم، إن كنتم تعلمون فَضْلَ ذلك، وأنَّه خير لكم في الدنيا والآخرة[٥٥]

٣- العفو عن المسيء: وهو خلق كريم يحتاج إلى همة عالية، ومزيد من مجاهدة الإنسان لنفسه؛ لأن صاحب الحق لما ترك حقه والانتصار لنفسه ابتغاء الأجر من الله تعالى، كان كالمتطوع بهذا الترك، قال تعالى: { وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢)}

نماذج قرآنية للتطوع الاجتماعي: عندما نستقرئ آيات القصص القرآني نجدها تقدم لنا نماذج واضحة لبعض الأعمال التطوعية ما بين أعمال تطوعية جماعية، وأخرى فردية:

أولًا – التطوع الفردي ومن نماذج هذا النوع من التطوع في القرآن الكريم

أ- عن زكريا في شأن كفالة مريم

أن الله تعالى قد خص زكريا عليه السلام بتلك المهمة فجعله كافلًا لمريم، قَال الله تعالى:﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾آل عمران: ٣٧

ب – تطوع موسى عليه السلام بالسقيا للفتاتين

قَال الله تعالى:﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ . فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾

ثانيًا- التطوع الجماعي: التطوع الجماعي يأتي استجابة لظرف طارئ؛ بل يأتي نتيجة الإيمان بفكرة أو قضية ما؛ ومن ثم الدعوة لهذه الفكرة وتلك القضية، ومن أمثلته في القرآن الكريم:

أ- تطوع ذي القرنين ببناء السد: قَال تعالى:﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا . قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾، وأدرج هذا النموذج تحت العمل الجماعي، لما فيه من تنظيم وتوزيع للأدوار على فريق العمل، وتلك سمة من أهم سمات العمل الجماعي المنظم.

ب – تطوع الأنصار للمهاجرين بالمال والسكن، وإيثارهم لهم على أنفسهم، قَال تعالى:﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأولئك هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾، وهناك الكثير من الأشكال و الممارسات التي ينضوي تحتها العمل التطوعي، والتطوع يسع كل المجالات النافعة والمفيدة، وأبرزها[٥٦] :

١- مجال العبادة: فالمسلم لا يقتصر في عبادته على الفرائض والواجبات، بل يزيد عليها من خلال التطوع بالنوافل والسنن والقربات، والأمر واسع ومتاح للتنافس والتسابق في شتى أنواع العبادات كالصلاة والصيام والصدقات والحج وغيرها.

---

٥٥ - ينظر: «التفسير الميسر» (١/ ٤٧)

٥٦ - ينظر:" العطاء التطوعي طريقك لخدمة الإسلام"،(ص١٨)

٢ المجال التربوي والتعليمي: ويتم من خلال المساهمة في بناء فكر المحتاجين تعليميا من أبناء المجتمع عبر فتح افاق العلم والمعرفة أمامهم، ويتضمن (محو الأمية- التعليم المستمر- برامج صعوبات التعلم- تقديم التعليم للمحتاجين دراسياً).

٣- المجالات المالية: التي تتطلب دفع المال وتقديمه بسخاء من أجل نفع الناس ومساعدتهم، وهذا المجال يدخل ويشارك في الكثير من المجالات.

٤- المجالات الحرفية: من خلال التطوع فيما يتقن من أنواع الحرف المفيدة النافعة.

٥- المجالات الإدارية: وهي تدخل في شتى الأنواع، والإدارة صارت فن وجودة وإتقان.

٦- المجالات الفكرية: من خلال الآراء الصائبة والنصائح القيمة، والخطط الرائدة، وتقديم التوعية الفكرية.

٧-المجال الصحي: ويتم من خلاله تأمين الرعاية الصحية الأولية لهؤلاء المحتاجين، فيتطوع الأطباء والممرضين والمسعفين للتخفيف من آلام هؤلاء المرضى، ويتضمن (الرعاية الصحية -خدمة المرضى والترفيه عنهم - تقديم الإرشاد النفسي والصحي- تقديم العون لذوي الاحتياجات الخاصة).

٨-المجال البيئي: فنظرا لتفاقم المشاكل البيئية التي باقت تهدد العالم بكوارث خطيرة، فمن الإحساس بالمسئولية ينطلق المتطوعون في محاولة لحفظ الثروات الطبيعية من خلال حملات التوعية البيئية، والحملات الميدانية، ويتضمن (الإرشاد البيئي- العناية بالغابات ومكافحة التصحر- العناية بالشواطئ والمنتزهات- مكافحة التلوث)

٩- مجال الدفاع المدني: وهذا الجهاز الذي تظهر أهميته في حالات الطوارئ والخطر، ويتضمن (المشاركة في أعمال الإغاثة- المساهمة مع رجال الإسعاف- المشاركة في أوقات الكوارث الطبيعية)

ومن الحقائق الثابتة أن المجتمع بكل جوانبه الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وقيمه الأخلاقية والروحية كل لا يتجزأ، وهذه الحقيقة تنبع وتقوم على حقيقة أساسية هي أن الإنسان بوصفه الخلية الحية للمجتمع كل لا يتجزأ، ولذلك فان العمل الطوعي يجب أن لا ينحصر في جوانب محدودة للمجتمع والإنسان، بل يجب أن **يتسع** ليشمل كل المجتمع وكل الإنسان وحقوقه الأساسية في الحياة والسلام والحرية وليشمل حقوقه الاجتماعية من مأكل ومشرب ومسكن وملبس وصحة، إن العمل التطوعي بهذه الأهداف الواسعة يتعدى المفهوم التقليدي الخيري[٥٧]

المطلب السابع: نماذج من العمل التطوعي:

يحفل التاريخ بنماذج مضيئة في فعل الخير وبذل المعروف والتطوع في سبيل الله وتلك أمثلة مشرقة ونفحات عطرة من سير الأنبياء والصالحين[٥٨]، فلقد ذخرت السنة النبوية بالمواقف التطوعية التي تشهد للامة بمحبة الخير والمنافسة فيه منها، شمولية العمل التطوعي في حياة الحبيب النبي صلى الله عليه وسلم لم يترك النبي بابا من أبواب الخير إلا دخله وساهم فيه[٥٩] يدل على ذلك حديث نزول الوحي، ففي " صحيح البخاري"،(٣)، و" صحيح مسلم"،(١٦٠)، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: " فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ،

---

٥٧ - ينظر:" جدد شبابك بالتطوع"،(ص١٧)

٥٨ - ينظر:" العطاء التطوعي طريقك لخدمة الإسلام"،(ص٢٥- ٣٠)

٥٩- حاجتنا إلى العمل التطوعي د. تيسير بن سعد بن راشد أبو حيمد

قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ} [العلق: ٢] " فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنها، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ".

ومن ذلك مشاركة النبي صلى الله عليه وسلم في بناء الكعبة: ففي «مصنف عبد الرزاق» (٩١٠٦):عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ: " كَانَتِ الْكَعْبَةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَبْنِيَّةً بِالرَّضْمِ لَيْسَ فِيهَا مَدَرٌ، وَكَانَتْ قَدْرَ مَا يَقْتَحِمُهَا الْعَنَاقُ، وَكَانَتْ غَيْرَ مَسْقُوفَةٍ، وَإِنَّمَا تُوضَعُ ثِيَابُهَا عَلَيْهَا، ثُمَّ يُسْدَلُ سَدْلًا عَلَيْهَا، وَكَانَ الرُّكْنُ الْأَسْوَدُ مَوْضُوعًا عَلَى سُورِهَا بَادِيًا، وَكَانَتْ ذَاتَ رُكْنَيْنِ كَهَيْئَةِ هَذِهِ الْحَلْقَةِ، فَأَقْبَلَتْ سَفِينَةٌ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ حَتَّى إِذَا كَانُوا قَرِيبًا مِنْ جُدَّةَ انْكَسَرَتِ السَّفِينَةُ، فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ لِيَأْخُذُوا خَشَبَهَا، فَوَجَدُوا رُومِيًّا عِنْدَهَا فَأَخَذُوا الْخَشَبَ، أَعْطَاهُمْ إِيَّاهَا، وَكَانَتِ السَّفِينَةُ تُرِيدُ الْحَبَشَةَ، وَكَانَ الرُّومِيُّ الَّذِي فِي السَّفِينَةِ نَجَّارًا، فَقَدِمُوا بِالْخَشَبِ، وَقَدِمُوا بِالرُّومِيِّ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: نَبْنِي بِهَذَا الْخَشَبِ بَيْتَ رَبِّنَا، فَلَمَّا أَنْ أَرَادُوا هَدْمَهُ إِذَا هُمْ بِحَيَّةٍ عَلَى سُورِ الْبَيْتِ مِثْلِ قِطْعَةِ الْجَائِزِ سَوْدَاءِ الظَّهْرِ، بَيْضَاءِ الْبَطْنِ، فَجَعَلَتْ كُلَّمَا دَنَا أَحَدٌ مِنَ الْبَيْتِ لِيَهْدِمَهُ أَوْ يَأْخُذَ مِنْ حِجَارَتِهِ، سَعَتْ إِلَيْهِ فَاتِحَةً فَاهَا، فَاجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ عِنْدَ الْحَرَمِ، فَعَجُّوا إِلَى اللَّهِ وَقَالُوا: رَبَّنَا لَمْ نُرَعْ، أَرَدْنَا تَشْرِيفَ بَيْتِكَ وَتَرْتِيبَهُ، فَإِنْ كُنْتَ تَرْضَى بِذَلِكَ، وَإِلَّا فَمَا بَدَا لَكَ فَافْعَلْ، فَسَمِعُوا خُوَارًا فِي السَّمَاءِ، فَإِذَا هُمْ بِطَائِرٍ أَعْظَمَ مِنَ النَّسْرِ، أَسْوَدِ الظَّهْرِ، وَأَبْيَضِ الْبَطْنِ وَالرِّجْلَيْنِ، فَغَرَزَ مَخَالِبَهُ فِي قَفَا الْحَيَّةِ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِهَا يَجُرُّهَا، وَذَنَبُهَا أَعْظَمُ مِنْ كَذَا وَكَذَا سَاقِطٍ حَتَّى انْطَلَقَ بِهَا نَحْوَ أَجْيَادٍ، فَهَدَمَتْهَا قُرَيْشٌ، وَجَعَلُوا يَبْنُونَهَا بِحِجَارَةِ الْوَادِي، تَحْمِلُهَا قُرَيْشٌ عَلَى رِقَابِهَا، فَرَفَعُوهَا فِي السَّمَاءِ عِشْرِينَ ذِرَاعًا، فَبَيْنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَحْمِلُ حِجَارَةً مِنْ أَجْيَادٍ وَعَلَيْهِ نَمِرَةٌ، إِذْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ النَّمِرَةُ، فَذَهَبَ يَضَعُ النَّمِرَةَ عَلَى عَاتِقِهِ، فَبَدَتْ عَوْرَتُهُ مِنْ صِغَرِ النَّمِرَةِ، فَنُودِيَ يَا مُحَمَّدُ، خَمِّرْ عَوْرَتَكَ، فَلَمْ يُرَ عُرْيَانًا بَعْدَ ذَلِكَ، وَكَانَ بَيْنَ الْكَعْبَةِ وَبَيْنَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ خَمْسُ سِنِينَ، وَبَيْنَ مَخْرَجِهِ وَبِنَائِهَا خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً "[٦٠]

ومن المواقف موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه[٦١] حينما كان ينفقُ على مِسْطَح بن أَثَاثَة لقرابتِهِ وفقره، وبعد علمِهِ بأنّه خاضَ مع من خاضُوا في عِرْض ابنتِه عائشةَ -رضي الله عنها- في حادثةِ الإفكِ، أقسمَ ألّا يُنفقَ عليهِ، فعاتبهُ الله على ذلك بقوله تعالى: (وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى

٦٠ - قال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٣/ ٢٨٩):
«رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ بِطُولِهِ، وَرَوَى أَحْمَدُ طَرَفًا مِنْهُ، وَرِجَالُهُمَا رِجَالُ الصَّحِيحِ». انتهى
٦١ - أخرجه البخاري في " صحيحه"، (٢٦٦١)

وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيم)[النور:٢٢].

وكذلك ما روي أنَّ عمرَ بن الخطابِ -رضيَ اللَّهُ عنهُ- خرجَ في سوادِ اللَّيْلِ فرآه طلحةَ رضي الله عنه، داخلاً بيتًا، فلما أصبح ذهبَ إلى ذلك البيتِ فإذا بعجوزٍ عمياءَ مُقْعَدَةٍ فقال لها طلحةُ: ما بالُ هذا الرجل يأتيك؟ قالتْ: إنَّهُ يتعاهدُنِي منذ كذا وكذا، فيأتيني بما يُصلحني ويُخرجُ عنِّي الأذى، فقال طلحةُ: ثكلتك أمُّكَ طلحة؟ أعثراتِ عمرَ تتبع[٦٢]

قَالَ الْبُخَارِيُّ ج٣ص١٠٩: وَقَالَ عُثْمَانُ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ، فَيَكُونُ دَلْوُهُ فِيهَا كَدِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ» فَاشْتَرَاهَا عُثْمَانُ رضي الله عنه.

وأخرج البخاري في " صحيحه"،(٢٧٧٨)، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ عُثْمَانَ رضي الله عنه حِينَ حُوصِرَ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: أَنْشُدُكُمُ اللَّهَ، وَلَا أَنْشُدُ إِلَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ»؟ فَحَفَرْتُهَا، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ»؟ فَجَهَّزْتُهُمْ، قَالَ: فَصَدَّقُوهُ بِمَا قَالَ وَقَالَ عُمَرُ فِي وَقْفِهِ: «لَا جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهُ أَنْ يَأْكُلَ وَقَدْ يَلِيهِ الوَاقِفُ وَغَيْرُهُ فَهُوَ وَاسِعٌ لِكُلٍّ».

ومن المواقف موقف علي رضي الله عنه يكنس بيت المال:

ففي «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١/ ٨١)، و«فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (١/ ٥٣١):

عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ الْوَالِبِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: جَاءَهُ ابْنُ التَّيَّاحِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، امْتَلَأَ بَيْتُ مَالِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ صَفْرَاءَ وَبَيْضَاءَ، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ: فَقَامَ مُتَوَكِّئًا عَلَى ابْنِ التَّيَّاحِ حَتَّى قَامَ عَلَى بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: هَذَا جَنَايَ وَخِيَارُهُ فِيهِ، وَكُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ، يَا ابْنَ التَّيَّاحِ، عَلَيَّ بِأَشْيَاخِ الْكُوفَةِ، قَالَ: فَنُودِيَ فِي النَّاسِ، فَأَعْطَى جَمِيعَ مَا فِي بَيْتِ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ يَقُولُ: يَا صَفْرَاءُ، يَا بَيْضَاءُ، غُرِّي غَيْرِي هَاوَهَا وَهُوَ يَقُولُ: يَا صَفْرَاءُ، يَا بَيْضَاءُ، غُرِّي غَيْرِي هَاوَهَا، حَتَّى مَا بَقِيَ فِيهِ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، ثُمَّ أَمَرَ بِنَضْحِهِ وَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ.

ولقد كان للمرأة المسلمة دورا بارزا في العمل التطوعي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث المرأة التي كانت تقوم على تنظيف السجد وصيانته.

ختاماً: مجالاتُ إعمار الأرض كثيرة ومتنوعة، وحاجاتُ الناس ومشكلاتُهم كبيرة ومتجددة، والأحداث في العالم عصيبة ومتلاحقة، وهذا يستدعي من العاملين لخير أمّتهم ومجتمعاتهم الجدّ في العمل التطوعي، والاستمرار فيه لأقصى درجة، وتطويره وتنظيمه ليواكب الأحوال والظروف ويحدّ من المصاعب والكروب، وليعود أيضًا بالخير على المتطوعين زيادةً في إيمانهم، ورفعةً لدرجاتهم، وصفاءً لنفوسهم، وسعادةً في حياتهم، وبركة في أنفسهم وأزواجهم وذرياتهم وأموالهم[٦٣]، لأن العمل التطوعي أو ما يسمى حديثاً في أدبيات التنمية "رأس المال الاجتماعي" هو ثروة عامة وليست حكراً لأحد، هو تلك الروابط التي تقوم على القيم الاجتماعية الحميدة مثل الثقة والصدق والتعاون والتراحم والتكافل٦٤، فالمسلم الذي فطر على الخير والحب لا ينتظر الأحداث والطواري حتى يبادر إلى المساهمة في الأعمال التطوعية بل سوف يدفعه

---

٦٢ - «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»، (١/ ٤٨)

٦٣- العمل التطوعي في ميزان القرآن والسنة.

٦٤ - ينظر:" جدد شبابك بالتطوع"،(ص٣٧)، و" ممارسة العمل التطوعي لدى طلاب الجامعات في مصر "دراسة ميدانية""،(ص٢٤٠)

إيمانه وغيرته وحبه للعمل الصالح إلى تقديم العون وبذل المعروف لإخوانه المسلمين في كل الأحوال ويداوم على ذلك العمل رغبة في محبة مولاه٦٥

«والحمدُ لله ربّ العالمين أوّلًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، وصلواته وسلامُه الأطيبان الأتمّان الأكملان على سيدنا محمد خير خلقه أجمعين، كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، وعلى سائر النبيّينَ وآل كل وسائر الصالحين»٦٦

٦٥ - ينظر: "عزوف الشباب عن العمل التطوعي في الجهات الخيرية"، (ص ٥-٨)
٦٦ - بهذه الخاتمة ختم النووي رحمه الله كتابه: «الأذكار» (ص٦٣٨)